المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

أدلة الإقناع المقالية والمقامية
في الخطاب النبوي

Evidence of persuasion article and maqam in the prophetic discourse

محمد الأمين قادري
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، (الجزائر)
aminekadriyacine@gmail.com

فتيحة بلغدوش
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، (الجزائر)
fatibelge@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/10 تاريخ القبول: 2022/06/14 تاريخ النشر: 2022/10/01

المؤلف المراسل: محمد الأمين قادري. aminekadriyacine@gmail.com

الملخص:

يُعدُّ الخطاب الإقناعي في السيرة النّبوية نموذجاً للتواصل الناجح الذي توفرت فيه العناصر اللغوية (المقالية) والعناصر غير اللغوية (المقامية) فحقّق هذا الخطاب القوة الإنجازية الصريحة والمتضمنة، ونتج عنها الفعل التأثيري الذي غيَّر من السلوك البشري باستراتيجية خطابية اعتمدت على الوسائل اللّغوية والبلاغية والمنطقية، ومراعاة أحوال ومقام المخاطَبين.

الكلمات المفتاحية: التداولية، المقال، المقام،الإقناع، الخطاب.

Abstract:

The persuasive discourse in the Prophet's biography is considered as a vivid example of successful communication,deploying both linguistic (verbal) and non-linguistic (contextual) means.Concomitantly, this discourse has achieved the explicit and implied performative force, which has resulted in a strong uptake that has changed the human behaviour. This address strategy has utilized multiple means: linguistic, rhetorical, and logical, while at the same time, took in into account the situation and the addressees' status.

Keywords:

Pragmatics ; discourse; context; persuasion.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

1.مقدمة:

يُراهن المتكلّم في إنتاج خطابه على تماسك العبارات واتساقها وانسجامها من أجل أن يبلغ التواصل أعلى مستوياته، مستخدماً في ذلك روابط لفظية وأخرى معنوية، ويكون الأمر أشدّ إلحاحاً وأكثر ضرورة عندما يتّسم الخطاب بالوظيفة الإقناعية؛ حيث يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات معينة يستعملها المرسل بما يُناسب طريقة بنائه للحجج التي اختارها، فدلالة الخطاب الإقناعية لا تتوقف على الظاهر من الملفوظ فحسب، بل يمكن أن يكون الإقناع بالخطاب التلميحي أيضا، والجمع بين الملفوظ الظاهر والمضمر عند المتكلّم يفرض على المستمع استخدام قدرته في فهم الخطاب وإدراك مقاصده، ويرى كثير من التداوليين أنّ التقنيات الحجاجية هي العِماد الذي ترتكز عليه عملية الإقناع بدليل أنّها ترسم منحى الخطاب الإقناعي، لذلك يحرص المتكلّم على إدراجها بعناية فائقة ضمن استراتيجيته الخطابية، فيزداد المعنى قوةً وإيضاحاً.

ويُعدُّ الخطاب النبوي الشريف من الكلام المتعالي عن المألوف، وخرقاً للمتداول باعتباره حديثاً يتسم بالقدسية، فماهي استراتيجية الخطاب النبوي الإقناعي؟ وماهي آلياته؟

وتسوقنا هذه الإشكالية إلى مجموعة من الفرضيات هي:

–يُعدُّ التأييد الإلهي لرسوله الكريم بالوحي حجة في تبليغ خطابه وإقناع الغير برسالته.

–الخطاب المقنع هو الذي يعتمد على آليات واستراتيجيات تكون أكثر تأثيراً من الخطاب العادي.

والغاية من هذا البحث هو استظهار الرؤية التداولية في الخطاب النبوي من خلال العناصر المقالية والمقامية المكونة له، مما يستدعي المنهج التداولي الذي يقتضي دراسة اللغة أثناء الاستعمال.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

2– أدلة الإقناع المقالية:

سنركز في الأدلة المقالية على ما تعلق بالجانب البلاغي و الجانب المنطقي:

1.2–الأدلة البلاغية:

في الخطاب الإقناعي يُنظر إلى الأساليب البلاغية من زاوية قدرتها على الإقناع "فالأساليب البلاغية قد يتمّ عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، ومن هنا يتبين أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التّحول لأداء أغراض تواصلية، وإنجاز مقاصد حجاجية، ولإفادة أبعاد تداولية"[1] وتشمل الآليات البلاغية في الخطاب الإقناعي على: تقسيم الكلّ إلى أجزائه (التفريع)، والاستعارة الحجاجية، والتمثيل.

2.2–تقسيم الكلّ إلى أجزائه:

يَرِدُ هذا حينما يذكر المرسل حجته كلّيا في أول الأمر، ثم يعود إلى تعداد أجزائها من أجل أن يُحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزءٍ منها بمثابة دليل على دعواه، فالتقسيم عند البلاغيين هو"ذكر متعدّد ثم إضافة الكل إليه على التعيين"[2] بمعنى أن يذكر المتكلم قولاً مجملاً، ثم يقوم بتفصيل القول من خلال تفريعه إلى أجزاء ونجد ذلك في قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا نزلنَّ بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن: إنه لم تظهر الفاحشةُ في قوم قط حتّى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السّلطان؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القطر من السّماء، فلولا البهائم ما مطروا؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط عليهم عدواً من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم؛ وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا في ما أنزل الله إلا جعل الله

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

بأسهم بينهم"[3] ففي بداية الحديث ذَكَرَ عليه الصّلاة والسّلام بوجود خمس خصال هنّ محل تهديد ووعيد لمن أدركهنّ، فانتقل الخطاب من المجمل إلى التفصيل، ومن الكل إلى الجزء.

3.2.الاستعارة:

تُعدُّ الاستعارة من أهم الخصائص الجوهرية للُّغات الطبيعية، ويعتمدُ عليها المرسل كثيراً في الوصول إلى أهدافه الحجاجية، ولا نقصد هنا بالاستعارة التي يهدف من وراءها المتكلم التمكن من اللّغة، وإظهار الزّخرفة اللّفظية، والتفنن الأسلوبي، بل نقصد بالاستعارة التي تهدف إلى التواصل، فهي فنٌ لغوي تداولي يُعطي للقول قوتَهُ الدّلالية وأثره النّفسي البالغ، ويُعبّر عنها عبد القاهر الجرجاني: "إنْ شئت أَرَتكَ المعاني اللّطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنّها قد جُسّمت حتّى رأتها العيون، وإن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانية حتّى تعود روحانية، لا تنالها إلّا الظنون"[4] والآليات الاستعارية في الخطاب الإقناعي لاتقف عند حدود التمثيل أوالمشابهة بين فكرتين أو موضوعين، بل يرتبط من خلالها المجاز بالإقناع حيث "يخلق هذا المجاز المعنى ويصدم كلَّ من لا يُشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو بذلك طريقة للتعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صورة من الإنسان، مثلما تكون الاستعارة صورة من الأسلوب للتأثير والإقناع، ويُقسّم اللغويون الاستعارة إلى استعارة مفيدة، واستعارة غير مفيدة، فالاستعارة المفيدة هي الاستعارة الحجاجية التي تُعَدُّ أكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، أمّا الاستعارة غير المفيدة فهي التي تعتمد على الزُخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي، وليس لأجل غايةٍ حجاجية.

فالاستعارة عند التّداوليين "وسيلة لغوية تواصلية، وتفسيرها على مستويين بلاغيين: مستوى التواصل والتفاعل البشري؛ والمستوى الأدبي الفنّي"[5] فالقول الاستعاري هو قول حجاجي تفاعلي.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

1.3.2. التمثيل:

هو عقد الصلة بين صورتين، ففيها يُبيّنُ المرسلُ حجته، ويزيدها قوةً وإفحاما، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني " إن كان–التمثيل– حجاجاً، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"[6] وللتمثيل في الخطاب الإقناعي أثر بالغ الأهمية في النّفس "إذا مثّلتَ الشيء بالشيء فإنّما تقصد به إثبات الخيال في النّفس بصورة المشبّه به أو معناه، وذلك للترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنّك إذا شبّهت صورةً بصورة أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النّفس خيالاً حسناً يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبّهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النّفس خيالاً قبيحاً يدعو إلى التنفير عنها"[7] ومن صور التمثيل أنّ أعرابياً أساء التعامل مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، فأراد بعض الصّحابة أن يُعزّروه، فرفض عليه الصّلاة والسّلام وقال:"إنّ مَثلي ومَثلُ هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردَت عليه، فاتبعها النّاس فلم يزيدوها إلاَّ نفورا، فقال لهم صاحب النّاقة خلّوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها وأعلم بها، فتوجّهَ إليها صاحب النّاقة فأخذ لها من قتام الأرض، ودعاها حتّى جاءت واستجابت، وشدّ عليها رحلها واستوى عليها"[8] وفي هذا تمثيل يوضح فيه دراية الرسول صلّى الله عليه وسلم بهداية النّاس إلى الخير، كدراية صاحب النّاقة بناقته عندما تشرد، فلا يزيدها هلع النّاس إلا نفورا ممّا يجعل الإقناع أبلغ والصورة أوضح، وفي هذا يقول بيرلمان (Perlman):"التمثيل هو طريقة حجاجية تعلو قيمتُها على مفهوم المشابهة المستهلكة"[9] فالتمثيل في الخطاب أبلغ حجةً من صورة التشبيه البلاغية.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

3-الأدلة المنطقية:

هي مجموعة من المسلّمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكُلّ يُسلّم بصِدقها وقد جمع غرايس(Grisse) بين المنطق والحجاج حيث "تحدّث عن المنطق الطبيعي، وحاول أن يُنشئ منطقاً خاصاً بالخطاب، يتمّ من خلاله عدم إهمال الاختلافات التكوينية بين اللّغة والمنطق الرّياضي، وتقترح هذه النظرية نمذجة الاستراتيجيات الحجاجية والعمليات الخطابية المنطقية"[10] وتعتمد هذه الآليات على نوعين من الحجج؛ أحدهما يمثل حججاً منطقية تستمد قوتها الإقناعية من ارتكازها على البنى المنطقية، ونوع آخر يمثل حججاً شبه منطقية، وأبرز هذه الآليات:

1.3.التناقض وعدم الإتفاق:

نشير إلى أنّ عنصر التناقض يختلف على عنصر عدم الإتفاق (التعارض) كون أنّ التناقض يتعلق بقضيتين في نطاق مشكلتين إحداهما نفيٌ للأخرى أو نقضٌ لها نحو قولنا: "المطر ينزل ولا ينزل" أمّا عدم الإتفاق أو التعارض يكون بين ملفوظين يوضعان على محكّ الواقع والظّروف أو المقام لإختيار أحدهما وإقصاء الآخر، ومن ذلك مثلاً موقف شخصٍ يحجر قتل أي كائنٍ حيّ، ويدعو رغم ذلك إلى معالجة مريض يشكو إلتهابا باستخدام دواء يقضي على الجراثيم، والجراثيم كائنات حيّة فهو مطالب بتدقيق بعض ألفاظه وأفكاره ليتمكن من تطبيق قاعدتيه المذكورتين دون أن يقع في مأزق التعارض بين المقال والمقام.

2.3 ــ التماثل والحد في الحجاج:

وهما من الحُجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية فالتماثل ليست إلا طريقة شكلية نتوخاها في تقويم شيء ما تقويماً إيجابيا أو سلبيا، أو بواسطة الحشو"[11] كقول القائل: (الرجل رجل) أو(الأب يبقى دائماً أب) فالتماثل يستند إلى التعريف أو الحدّ الذي يُعدُ تحصيل حاصل، ويتضمن دلالةً مسبقة ومعلومة سلفاً وذلك لارتباط اللفظ بالمقام، ويذهب

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

بيرلمان وزميله إلى أنّه من الخطأ اعتقاد ثبات المعنى لهذه التعبيرات، ومن الخطأ أيضا أن نعتقد أنّ العلاقات بين هذين اللفظين هي ذاتها لا تتغير، والدليل أن بعضها قد أصبح حكمةً دالّة مثل: المرأة هي المرأة، إذ يكافئ هذا الخطاب قولنا: النساء سواء[12] وقد يُقصد به أنّ المرأة لن تتغير.

3.3.الحجاج بالتبادل:

يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين مختلفين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السّياقات، كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه، وذلك نحو قولنا: (ضع نفسك مكاني) أو قولك: (عامل النّاس كما تحبّ أن يعاملوك) وما يميز هذا النوع من الحجاج أنّه دعوة المرسل للمرسل إليه إلى ترسيخ هذا المبدأ بينهما بالتساوي، ولذلك يكثر استعمال الحجاج بالتبادل في النصائح لإقناع المرسل بجدوى ما تذهب إليه"[13] وهي حجة أقرب إلى العقل.

4.أدلة الإقناع المقامية:

1.4 .المقام ودوره في تحديد المعنى:

إنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية، شديدة الارتباط بثقافة المجتمع، وفكرة المقام هي المركز والأساس الذي يدور حوله الشّق الاجتماعي، وهي الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال "والاعتماد على المستوى المعجمي والصوتي والصرفي والنحوي في تحديد المعنى لا يُعطينا إلّا (معنى المقال) أو المعنى الحرفي كما يُسمّيه النّقاد، أو معنى ظاهر النّص كما يُسميه الأصوليون، وهو معنى بعيد تماماً عن محتواه الاجتماعي، ومنعزل تماماً عن كلّ ما يحيط بالنّص من القرائن الحالية"[14] ويمثل المقام البيئة التفاعلية بين المتحدث والمخاطب، وما بينهما من عُرفٍ سائد يحدد مدلولات الكلام وذلك أنّ تداول الخطاب يجري في سياق ثقافي واجتماعي بين المتحدث

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

والمخاطب، وليس لفظاً مجرداً عن محيطه الذي يجري فيه، فمعرفة قصد المتحدث وحال المخاطب من وسائل فهم سياق المقام.

فالمقام هو"مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين، وأهمها زمان التخاطب ومكانه، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، وخصوصاً الوضع التخابري القائم بينهما"[15] فللمقام خصوصاً والسّياق عموماً الأثر البالغ في تحديد معنى الخطاب والقصد الذي يرمي إليه المتكلم، وفي هذا يقول تمّام حسّان: "وهكذا تمتدّ قرينة السّياق على مساحة واسعة من الركائز، تبدأ باللّغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النّحوية، ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات من عرفية إلى طبيعية، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر نفسية وحسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية، ممّا يجعل قرينة السّياق كبرى القرائن بحق"[16] فالسّياق كما يوضح ذلك ابن القيم: "يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدّلالة، وهذا من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"[17] وقد ذهب ديكرو في تعريف المقام فقال:"إنّنا نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التّي نشأ الخطاب في وسطها ويجب أن نفهم من هذا المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ فيه الظرف مكانه، والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه...وإنّنا لنُعرِّف التداولية – غالباً – بوصفها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة"[18] وتعدّ الظروف المحيطة بالخطاب من أبرز الأمور التي يهتم بها التداوليون في بلوغ المعنى، ويَشِجُ طه عبد الرحمن الحجاج والمقام بأوشاج وثيقة، فيقول:"حدّ الحجاج أنّه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخباريةوتوجّهات ظرفية وجدلية، لأنّ هدفه إقناعي قائم على صور استدلالية أوسع، وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[19] فالغاية من الحجاج هو

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

إقناع الآخر بفكرة ما، أو رأي معين، وقد لا تتحقق هذه الغاية إلّا بمراعاة المتكلم للظروف المحيطة، أوما يقتضيه الحال.

2.4. عناصر المقام:

لقد اختلف التداوليون في تحديد عناصر المقام لإنتاج النّص ودلالاته، لكنّهم لم يخرجوا عن العناصر الأساسية المكونة له وهي: المخاطِب(المرسل) المخاطَب (المرسل إليه) البيئة المحيطة (بما فيها المكان والزمان) ومقاصد المخاطِب التواصلية.

3.4. مقام المخاطِب (المرسل): تعدُّ طبيعة المتكلم ومكانته بين النّاس عنصراً مهمًا في الخطاب الإقناعي، فمقام العالم يختلف في تأثيره وحجّيته عن مقام الجاهل، ومقام الرئيس يختلف في أوامره ونواهيه عن مقام عُموم النّاس، أمّا مقام النّبوة فهو أبلغ وأقدر في حُجيته على ما سواه من المقامات البشرية لأنّه مؤيد بالوحي، وله طابع القُدسية، إنّها(حجة السّلطة) كما تسمى في الدراسات التداولية الحديثة، وتُعدُّ حجة السّلطة لدى التّداوليين حالة نفوذ، ولحظة هيمنة، وتأثير في الآخر، وتقوم على المواجهة الإيجابية بين المتكلم –الذي يُعدُّ جديراً بالثقة– والمستمع، ويتمتع بها الزعماء والعلماء والأنبياء،ويبدو أنّ حجة السّلطة في مقام النّبوة تختلف عن حجة السّلطة في مقام الزّعامة والسّلطان، لأنّ حجة النّبوة تنهج منهج الهداية وتعليم مكارم الأخلاق، أما حجة السّلطان فتعتمد على الإرغام والإلزام.

ولقد عمِد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام على إقناع الصحابة بالموعظة والنصح، وفي هذا يقول طه عبد الرحمن: "يطلب صاحب الدليل إقناع الغير، سالكاً في ذلك مسالك تجلب رضا هذا الغير، بينما صاحب السلطان قد تكتسي مسالكه في الإقناع صبغة الإكراه والقمع"[20] ففي العموم يعتمد صاحب السّلطة على الإكراه في نفاد حجته، بينما الأنبياء يعتمدون على الإقناع.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

4.4.مقام المخاطَب (المرسل إليه):

في التواصل عموماً وفي الحجاج خصوصاً ينبغي أن يدرك المتكلّم أنّ المخاطَب يتلقى علامات لغته أو لغة أخرى يؤولها انطلاقاً ممّا يقوله المتكلم، كما ينبغي أن يُراعي المخاطِب منزلة النّاس وأحوالهم "فالقول لا يُقنع إذا لم يكن موجهاً أي مُكيفاً بحسب الحاجات الخاصة التي تقتضيها فئات المُخاطَبين، فالوضعيات تختلف، والمراتب تتباين، والأفهام تتفاوت، لذلك يتوجب على المتكلم أن يلائم بين طبقات القول، وطبقات أحوال المستمعين"[21] لذا ينبغي أن يحرص المتكلم على إدراك أحول المُخاطَبين.

ولقد راعى اللّه تعالى أحوال رسوله الكريم في مقامات مختلفة، وخاطبه بما يقتضيه الحال في سور قرآنية متعددة، ولعل ألطف ما خاطب الله تعالى رسوله الكريم مراعاةً لحاله وإعلاءً لمقامه ما ورد في سبب نزول سورة الضحى: " فتر الوحيُ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى شقّ ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضّحى يقسم له ربّه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به، ما ودّعه وما قلاه، فقال تعالى:﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ يقول: ما صرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك"[22] لقد واجه الرّسول الكريم في رحلته الدعوية أشدّ ألوان العذاب والاضطهاد من قومه، لكنّه تسلّح بالإيمان واليقين بربّه، فكان الوحي زادهُ في مشقة الطريق، وروحه في صحراء الضّلال والجحود "عندئذ نزلت هذه السّورة، فنزل هذا الفيض من الوّد والحبّ والرّحمة والإيناس والقربى والأمل والطمأنينة واليقين"[23] فجاءت السورة كلّها شاهداً في معرفة قدر المُخاطَب ومكانته، ولعلّ الشاهد الأبلغ في قوله:(ما ودّعكَ ربُّك) و (ما قلى) فالتوديع يكون بين المُتحابين فقال له (ما ودّعك) بذكر كاف المخاطب، ولم يقل له (ما قلاك) لأنّ القلى أو الإقالة تكون بين المتباغضين، وقد حُذفت الكاف إكراماً له، فجاء الإكرام بالذكر والحذف معاً.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

ومن باب معرفة أحوال النّاس والتأثير عليهم بالحُسنى أوصاه الله تعالى أن لا يكون غليظ الطباع، خشن المعاملة مع أصحابه، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ. فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فجاء خطابه عليه الصّلاة والسّلام بالتيسير والتبشير، ورفع المشقة والحرج، وإنزال النّاس منازلهم، وقد خاطب الرّسولُ عليه الصّلاة والسّلام معاذَ بن جبل بهذه المعاني مراعاةً لنفوس النّاس وتأليفاً لقلوبهم، فقال له حينما بعثه إلى اليمن: "يسّر ولا تعسّر، وبشّر ولا تنفّر، وإنّـــــك ستقدم على قوم من أهل الكتاب، يسألونك ما مفتاح الجنّة، فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[24] فجاء التشريع يوصي بالسعة، ورفع الحرج عن النّاس.

وأوصى عليه الصلاة والسلام بالنّساء خيراً والرّفق بهن، فقال:"استوصوا بالنّساء خيراً، فإنّهنّ عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله"[25] كما أمر بضرورة احترام الشيوخ وتوقير شيبتهم في الإسلام، فقال: "إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم"[26] كما أمر برفع المشقة عن النّاس في العبادات والتكاليف.

5.4. مقام البيئة والظروف المحيطة (الزمان، والمكان):

ويسمّيه بعض اللسانيين سياق الموقف أو سياق الحال عند **فيرث** وهو ما يرتبط بالبيئة، أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، ويحرص كثير من الخطباء على الالتزام بقاعدة (لكل مقام مقال) حيث يرون بضرورة مراعاة مواضع الإيجاز والإطناب ومواضع التوكيد والإنكار، وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة: " فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلامًا في تحضيض أوصلح أوما أشبه ذلك لم يأت به من واد واحد، فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرّر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتّى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتّى يفهمه بعض الأعجميين، ويشير إلى الشيء، ويُكنّي عن

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

الشيء، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحفل، وكثرة الحشد، وجلالة المقام"[27] فعلى المتكلم أن يكون مدرك مقام الكلام من حيث المكان والزمان.

وتُعدّ خطبة الوداع من أبرز الخطب تأثيراً في التراث الإسلامي "فالخطابة لا تستمدّ من ذاتها ومقولاتها كالقياس، وإنّما من الضمير والاحتمال"[28] وتضمنت لغة الخطاب عبارات تدل على حرمة المكان (البلد الحرام) وحرمة الزّمان (الشّهر الحرام) وهذا ما يُعرف بالاحتكاك المباشر مع العالم الخارجي "بالإحالة إليه، والحديث عنه، والاقتباس المباشر منه"[29] وقد أوصى بمعالم الطريق من خلال (حرمة الدماء والأموال، حرمة المظالم، الحرص على الأخوة، وأوصى بالنّساء خيرا) وتحتشد في خطبة الوداع "الجمل التقريرية اليقينية، وكيفية الإلزام من أوامر وتعاليم، وتحليل وتحريم، بما يناسب المقام"[30] كما تشهد الخطبة "ما يبرر الإلحاح على تحقيق غاياتها؛ من حيث زمانُها قبل وفاة الرسول عليه السّلام؛ وموضوعاتها التي لا يصلح بغيرها أمر المسلمين"[31] فكانت للظروف الزمانية والمكانية والنفسية الأثر البالغ في إنتاج هذا الخطاب الإقناعي الخالد.

6.4. مقاصد الكلام:

تُعدّ المقاصد هي لُبّ العملية التواصلية، فيرى التداوليون أنّه لا وجود للتواصل دون وجود قصدية، ولهذا يعتبر **سيرل** أنّ المقاصد لها أطر معينة في ذهن المرسل؛ حيث يرى أن: " القصدية هي تلك الحالات التي تملك مضموناً قصدياً يدل على شيء أو موضوع، وتأتي هذه الحالات في شكل سيكولوجي معين"[32] ويُثير النّاس عادةُ في تبادلاتهم الخطابية السؤال التالي: ماذا تقصد بخطابك؟ ماذا يعني كلامك؟ وتجنباً لهذا السؤال المفترض، يعمَدُ طرفا الخطاب إلى تحديد المقاصد من الألفاظ والمفاهيم، والعبارات مسبقاً، خصوصاً عند سَنّ القوانين أو الأنظمة وكذلك في النّقاشات والحجاج"[33] والمقاصد هي غايات كامنة، يسعى المتكلم لبلوغها بواسطة الخطاب " فخاصية القصدية تعني أنّ فعل التخاطب لا ينفكّ عن

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

رغبات وحاجات وقصود نفسية، وأفكار تحملها العبارة"[34] ويُرجع كثيرٌ من البلاغيين ظهور مقاصد الخطاب في البلاغة العربية مع بداية البحث في مكامن النّص القرآني والأحاديث النّبوية الشّريفة، وتُعدّ السّنة النّبوية مصدراً أساسياً من مصادر التشريع التي قامت على خدمة المقاصد العظيمة (حفظ الدين، حفظ النّفس، حفظ أموال الناس، حفظ أعراضهم، حفظ العقل).

وفي غزوة بدر الكبرى أمر الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم أصحابه أن يتهيأوا لملاقاة الأعداء أدنى آبار بدر– في أرض منخفضة– لكنّ الحُباب بن المنذر لم يُعجبه هذا الموقع" فقال الحُباب: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزلٍ فانهض بالنّاس حتّى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماءً، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لقد أشرتَ بالرأي"[35] فجسّد هذا الحوار مقصداً نبيلاً، ومبدأ سامياً من مبادئ السّياسة الشّرعية في أحوال الأمّة التي اسنبطها العلماء الأصوليون، فجاء الحوار هادئاً وهادفاً، استمع فيه الرّسول عليه السّلام إلى رأي صاحبه ونزل عنده، لِما يملكه من قوة الحجة وبيان الدّليل.

لقد حمل النّص الحواري في مضامينه المقالية والمقامية مقصد الشورى الذي يُعدّ أحد مبادئ النّجاح في التسيير عند العلماء الأصوليين "ينبغي للنّص أن يترك أثراً في متلقيه، والمهمّ في هذا كلّه هو فهم كيف يكون النّص حاملاً لمقصد ما، وكيف يتمكّن من التأثير في مخاطبين محدّدين"[36] فالنص الذي يحقق مقصدا معينا يكون له بالغ الأثر في المخاطَب.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

5. خاتمة:

يمكن أن نلخص أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث:

– تتظافر الآليات المقالية والمقامية في الخطاب الإقناعي ليينتج المتكلم قوة تأثيرية في فهم المخاطَب.

– تمثل الآليات البلاغية والمنطقية العناصر اللغوية (المقالية) التي ينبغي للمتكلم اختيارها بعناية كبيرة من أجل توجيه الخطاب الإقناعي.

– إنّ إدراك المعنى يتأثر بعناصر غير لغوية تتمثل غالباً في الظروف الاجتماعيةوالأحداث التي ترتبط بأداء الكلام، وهذا ما يُعرف بالمقام.

– يرى التداوليون وبعض الأصوليين أن إدراك المعنى من خلال ظاهر النّص هو إدراك قاصر، ولا يمكن الوصول إلى المعنى المراد إلا بالجمع بين العناصر المقالية والأحوال المقامية للنص.

6. الهوامش:

[1] صابر الحباشة، التداولية والحجاجمداخلونصوص،2008، ط1، دمشق، مؤسسة صفحات للدراسات والنشر، ص80.

[2] جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص في علوم البلاغة،1904، ط1، تح: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الفكر العربي، ص364.

[3] ابن هشام، السيرة النّبوية، ص631.

[4] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ،2006، ط1. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، ص47.

[5] عمر أوكان، اللّغة والخطاب،2001، ط1، المغرب، أفريقيا الشرق، ص 134.

[6] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، 1991م، ط1،تحقيق عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف،بيروت، دار الجيل، ص 118.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

[7] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،1995تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ج1، ص378.

[8] إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،2009، بيروت، دار ابن حزم، ج4، ص212.

[9] عبد السّلام عشير، 2006م،عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، المغرب، إفريقيا الشرق، ص97.

[10] صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص16.

[11] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات، ط1. تونس: 2001م، ميسكيلياني للنشر والتوزيع، ص45.

[12] عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص493.

[13] المرجع نفسه، ص 486.

[14] تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها،1994م،ط1، الدار البيضاء ، عالم الكتب، ص337.

[15] أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي الأصول والامتداد،2006، ط1، الرباط: ، دار الأمان، ص172.

[16] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط1. القاهرة: 1993، دار عالم الكتب، ص221222.

[17] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران،ط1. جدة: 2008، مجمع الفقه الإسلامي، ج4، ص415.

[18] سليم حمدان، مذكرة ماجستير بعنوان: أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، 2009، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص97.

[19] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،2000م، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص65.

[20] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص132.

[21] عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة،2013، ط1، بيروت، منشورات ضفاف، ص66.

[22] ابن هشام، السّيرة النّبوية، ص 241.

[23] سيد قطب، في ظلال القرآن، 1412ه،ط17. بيروت، دار الشروق، ج8/ ص55.

[24] ابن هشام، السيرة النّبوية، ص590.

[25] المرجع السابق، ص406.

المجلد: (14) العدد: (03) السنة: 2022 صفحات المقال: 83 – 98 ISSN :9577 - 1112 EISSN : 2602 -5388

[26] عبد العظيم بن عبد القوي المنذي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، 1417هـ، ط1، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص 64.

[27] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، ط2، القاهرة: 1973، مكتبة دار التراث، ص17.

[28] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته،2003م، ط1، الجزائر، ابن نديم للنشر والتوزيع، ص27.

[29] محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال،2005م، ط1، القاهرة، دار النشر للجامعات، ص168.

[30] بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية،2010، ط1، القاهرة، شمس للنشر والتوزيع،ص128.

[31] المرجع نفسه، ص128.

[32] صلاح إسماعيل، نظرية جون سورل في القصدية، ص 119.

[33] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص 124.

[34] صالح بلعيد، تقنيات التعبير،2014م، ط1، تيزي وزو ، مخبر الممارسات اللغوية، ص120.

[35] ابن هشام، السيرة النبوية، ص620.

[36] ينظر ذهبية حمو الحاج، إشكالية النّص في اللّسانيات التداولية،2014، مجلة سمات، جامعة البحرين، ص40.